ألمانيا ... مسقط رأس رُوميل

وُلِدَ إروين روميل Erwin Rommel فى مدينة هيدنهايم الألمانية Heideheim فى يوم ١٥ نوفمبر عام ١٨٩١ م ، ومات فى ظروف مأساوية فى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٤ فى بلدة هرلينجن الألمانية قبل أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وبعد أن تحولت سلسلة الانتصارات الألمانية فى العامين الأولين من الحرب العالمية الثانية إلى سلسلة من الهزائم الألمانية الحاسمة التى أفضت إلى هزيمة الألمان هزيمة كاملة.

بيْدَ أن تلخيص حياة أى إنسان بأنه قد وُلِدَ وعاش ومات إنما هو تلخيص يهدر كثيرا من التفاصيل . يولد الناس ويعيشون ويموتون بطبيعة الحال ، ولكن ما الظروف الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية التى كانت موجودة عندما ولد هذا الإنسان أو ذاك؟ وكيف نشأ هذا الإنسان ؟ وأى نوع من التعليم توافر لهذا الإنسان ؟ وما قدرات هذا الإنسان ؟ وكيف أعمل هذا الإنسان قدراته طوال حياته حتى مماته؟ وكيف مات؟ ... إلخ .

تحفل طبيعة الناس منذ ميلادهم وطوال حياتهم بكثير من التفاصيل منذ مِيلادِهم بل قبل ميلادهم وأثناء حياتهم حتى ينقضى أجل حياتهم ، وهو ما يحسن بنا دراسته خصوصا عندما يكون للإنسان الذى ندرس حياته مكانة تاريخية مرموقة مثل مكانة الفيلد مارشال «إروين چوهانس إيوجين روميل Erwin Johannes Eugen Rommel» .

•• التفوق العسكرى لألمانيا له جذور :

من الضرورى أولا وقبل كل شىء أن تدرس ولو دراسة موجزة تاريخ وجغرافية ألمانيا وظروف الشعب الألمانى الذى ولد فيه إروين روميل من النواحى الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك مما يؤثر فى تشكيل حياة البشر فى كل مكان وفى كل زمان .

يحظى أبناء الشعب الألمانى بكثير من المزايا الجسمية والخلقية والعقلية التى تجعلهم يشعرون فى معظم الأحيان شعوراً قويا بالتفوق على الآخرين والتمايز عنهم باعتبار أنهم ألمان أكثر شعوب أوربا قوة بأس وامتيازاً عن أبناء الشعوب الأخرى ، إذ يعتبر أى شخص ألمانى أن ألمانيا فوق الجميع وهو الشعار الذى يرفعه الألمان وساد بينهم عندما وصل الحزب النازى بقيادة أدولف هتلر إلى سلطات الحكم فى ألمانيا فى النصف الأول من القرن العشرين . وقوام أى شخص ألمانى فى الغالب الأعم قوام ممشوق ، وبشرته بيضاء مشوبة بشيء من الاحمرار ، والعينان يغلب عليهما اللون الأزرق ، ويعلو رؤوسهم الشعر الأشقر، وتغذى هذه السمات الجسمية شعور الألمان عموما بالتفوق والتمايز عن الآخرين، كما أن مستوى الذكاء والقدرات العقلية اللازمة للاختراع والابتكار إنما هى قدرات عالية تشهد بها مبتكرات وإبداعات كثير من الألمان فى مجالات العلوم والآداب والفنون المختلفة كما تشهد بها منتجات الألمان الممتازة فى مجال الصناعات المدنية والعسكرية بوجه عام .

وتؤكد المصادر التاريخية الموثوق بصحتها أن الألمان ينتسبون إلى قبائل چرمانية يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ببضعة قرون. ولقد تم الكشف عن بعض الآثار للقبائل الچرمانية التى أرجعها الباحثون إلى العصر البرونزى (١٦٠٠ – ٨٠٠ ق . م) وتدل هذه الآثار على درجة كبيرة من التقدم فى سلم الحضارة كما تدل على مهارة فائقة فى الصناعة بمقاييس ذلك العصر البرونزى .

ولقد حاول الرومان فى أوج قوة الإمبراطورية الرومانية التوسع شمالا فى قارة أوربا وحاولوا بقيادة يوليوس قيصر الزحف على الأراضى الألمانية ، ولكن الألمان تمكنوا من هزيمة جيش يوليوس قيصر فى عام ٥٨ ق.م وتمكن الألمان من حماية بلادهم حتى لا تقع فى براثن الإمبراطورية الرومانية . وفى العام التاسع الميلادى حاول الرومان إخضاع الألمان لنفوذهم ولكن القبائل الچرمانية تمكنت مرة أخرى تحت قيادة «أرمنيوس » من سحق الجيوش الرومانية .

ومن هنا بدأ التفاعل والصراع بين جنوب أوربا حيث كانت تمتد جذور الإمبراطورية الرومانية ووسط أوربا حيث كانت تعيش القبائل الچرمانية .

ولقد عرفت الإمبراطورية الرومانية من خلال هذا التفاعل والاحتكاك مع الجنود الألمان فى هذا الاحتكاك العسكرى القديم للجندى الألمانى شجاعته وبسالته وقدراته الحربية ، ورحب الرومان بانخراط آلاف الجنود الألمان فى صفوف الجيوش الرومانية ، وسرعان ما ارتقى كثير من الجنود الألمان إلى مراكز القيادة العليا فى الجيوش الرومانية بحيث صارت للجنود الألمان سطوة كبيرة فى صفوف الجيوش الرومانية وفى البلاط القيصرى الرومانى .

واستفاد الألمان فى منتصف القرن الثالث الميلادى من الخلافات التى ظهرت واستفحلت فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية ، وعبر الألمان نهر الدانوب وتوغلوا جنوبا فى الأراضى التى كانت خاضعة لنفوذ الإمبراطورية الرومانية فى وسط أوربا ، وفقد الرومان تماما نفوذهم فى المنطقة التى تعرف الآن برومانيا ، وأسس الألمان فى رومانيا دولة يسيطر عليها الألمان ، وهى الدولة التى عرفت فى العصر الوسيط بدولة القوط الشرقية للتمييز بينها وبين دولة القوط الغربية التى كانت توجد فى بلاد الغال أو بالأحرى فى فرنسا حيث كانت القبائل الألمانية قد امتد نفوذها غربا وسيطروا على الأراضى الفرنسية وأخضعوها لحكم ملوك ألمان فى عام ٢٥٠ م .

وكان للمحاربين الألمان دور ملحوظ فى مساعدة الدولة الرومانية على دحر خطر قبائل «الهون» المنحدرة نحو جنوب أوربا من شمال أوربا حيث كان الألمان يشكلون خط المقاومة الأول لصد الغزاة «الهون» القادمين من شمال أوربا حتى تم القضاء على أكبر غزوات «الهون» فى غاليسيا عام ٤٥١ م(*) .

ومنذ عام ٤٨١ بعد الميلاد تمكن الملك الألمانى «كلوفس» من توحيد القبائل الجرمانية فى دولة واحدة هى التى عرفت طوال العصر الوسيط بأنها «مملكة الفرنجة» أو «مملكة المورفنجيين» وهى التى غدت تعرف بعد ذلك بألمانيا، وكان من ألمع ملوكها «الملك شارل» الذى يعرفه العرب بـ «شرلمان ، ملك الفرنجة» وهو ملك الفرنجة الذى تؤكد المصادر التاريخية الإسلامية أنه قد تبادل الرسائل والهدايا مع الخليفة العباسى الشهير «هارون الرشيد» .

(*) انظر : الدكتور محمد كمال الدسوقى – تاريخ ألمانيا ص ١٥ وما بعدها – ط : دار المعارف بالقاهرة.

وإذا كان نابليون بونابرت قد تمكن بجيشه الضخم وتكتيكاته البارعة المبتكرة من إلحاق بعض الهزائم بالقوات الألمانية المفككة بسبب التناحر بين الأمراء الألمان فى مختلف المقاطعات الألمانية فألحق بهم نابليون سلسلة من الهزائم المتتالية حتى دخل برلين نفسها فى عام ١٨٠٦ حيث فرض على الألمان التوقيع على معاهدة «تليست» فى عام ١٨٠٧ إلا أن الألمان وحدوا صفوفهم وتحالفوا مع الروس والنمساويين وتمكنوا من هزيمة جيوش نابليون هزيمة ساحقة عند «ليبزج» فى أكتوبر سنة ١٨١٣ م ونجح الألمان والنمساويون فى دخول باريس نفسها ليجبروا نابليون على التنازل عن عرش فرنسا لتعود أسرة البوربون ذات الأصول الألمانية إلى عرش فرنسا مرة أخرى .

وعندما عاد نابليون إلى فرنسا وحاول غزو ألمانيا مرة أخرى ، استطاعت الجيوش الألمانية بمساعدة إنجلترا إلحاق هزيمة نهائية حاسمة بجيوش نابليون فى موقعة «ووترلو» الشهيرة فى يونيو عام ١٨١٥ م .

ومجمل القول هو أن الإنسان الألمانى بوجه عام إنسان محارب ممتاز ذو بأس وقوة وحمية وصولة وعبقرية فى فنون الحرب وأساليب القتال طوال تاريخه القديم والوسيط والحديث ، ولقد امتدح «ميكياڤيللى» فى كتابه «الأمير» (١٤٦٧ – ١٥٢٧م) تحصينات المدن الألمانية وامتدح النظم الدفاعية العسكرية الألمانية وطلب من «الأمير» اقتباسها ، فقال فى كتابه ذاك : «المدن الألمانية محصنة تحصينا مُتْقنًا لدرجة أن من يتفحص تحصيناتها يتأكد أنه لا مزيد عليها، إذ حول كل منها خندقا moat ومدافع ضخمة artilary(*) وحصنا bastion .

ولقد أنجبت ألمانيا أعظم أساتذة الحرب ومنظريها فى العصر الحديث ، ويعتبر «كلاوڤيتز» بمؤلفه الشهير «فى الحرب» من أبرز منظرى الحرب الحديثة دفاعا وهجوما .

ولقد أبرزت الحرب العالمية الأولى أسماء قادة ألمان أفذاذ على مستوى عال

(*) انظر ترجمتنا لكتاب الأمير لميكياڤيللى ص ٤٥ – باب : قياس قوة الدول ، وهو الباب العاشر من كتاب الأمير .

من الخبرة والحنكة والبراعة العسكرية أمثال الچنرال هندنبرج Hindenberg و«لوندندورف Lundendorf» و«بيلوف Bulov» و«فالكنهاين Falkenhayn» و«ماكنزن Mackensen» .

وكذلك أبرزت الحرب العالمية الثانية أسماء قادة ألمان أفذاذ مثل :جودريان ، وروميل ، وبراوخيتسن ، وجورنج ، وكيسلرنج ، وسبيرل ، ومورديل ، ويودل ، وسيب ديتريش ، وزتيزلر ، وفون بوك ، وفون ليست ، وفون كلوج ، ورونشتت، وغيرهم .

وجدير بالذكر أن الألمان بعد أن تمكنوا مع حلفائهم من دحر جيوش نابليون فى عام ١٨١٣ عملوا جاهدين من أجل الحصول على مطالب الشعب الألمانى الدستورية ، وتمكن الألمان من الحد من سلطات الأشراف وأمراء الإقطاع مما أفضى إلى المزيد من قوة الطبقات الشعبية الألمانية العاملة التى طالبت بوحدة الأراضى الألمانية وإخضاعها إلى سلطة حكومية مركزية فى العاصمة برلين ، كما تحمل الشعب الألمانى مسئولية التطوير الصناعى والتجارى والاقتصادى فى البلاد الألمانية ، وكانت ألمانيا تعتمد على الزراعة وحدها فى الاقتصاد وأصبحت دولة صناعية متقدمة فى إنتاجها الصناعى إلى حد أن تفوقت على إنجلترا ذاتها فى صناعات الحديد والصلب فى نهاية القرن التاسع عشر ، وهى صناعات ذات أهمية كبيرة فى إنتاج الأسلحة والعتاد الحربى مما كان له آثاره فى الحرب العالمية الأولى وفى الحرب العالمية الثانية ، كما تفوقت ألمانيا أيضا فى الصناعات الكيميائية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وابتكرت ألمانيا ابتكارات مهمة فى صناعة البارود والمفرقعات وصناعة الغازات السامة التى كانت ألمانيا من الدول السباقة فى استخدامها فى الحرب العالمية الأولى ليزداد نطاق استخدامها فى الحرب العالمية الثانية .

بيد أن تفوق ألمانيا فى شتى المجالات العسكرية قد أضعفه إلى حد كبير فشل ألمانيا فى المجالات السياسية والعلاقات الدولية وسوء تقدير ألمانيا لقوة الدول الأخرى التى دخلت ألمانيا فى صراع عسكرى معها سواء فى الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية . وربما كان موقع ألمانيا الجغرافى فى وسط أوربا سبباً فى فشل ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية .

•• تأثير الموقع الجغرافى على الشعب الألمانى :

إن نظرة إلى خريطة دول أوربا فى مطلع القرن العشرين توضح لنا الخصائص التى يمتاز بها الموقع الجغرافى للدولة الألمانية ، إذ تجاورها روسيا وبولندا من جهة الشرق ، وبوهيميا والنمسا وسويسرا من الجنوب ، وفرنسا وبلچيكا وهولندا من جهة الغرب ، والدنمارك من جهة الشمال . وإلى الجنوب من ألمانيا توجد دول البلقان مثل الصرب والجبل الأسود وألبانيا ويوغوسلافيا وبلاد اليونان وهى المنطقة التى يطلق عليها المؤرخون برميل البارود لشدة التفاعلات وضراوة الصراعات المحلية والدولية فى هذه المنطقة التى لا تبعد كثيراً عن ألمانيا من جهة الجنوب .

وأولى الحقائق المهمة بشأن الموقع الجغرافى لدولة ألمانيا يتمثل فى وجود دولتين كبيرتين إحداهما جهة الشرق من ألمانيا هى روسيا ، والأخرى جهة الغرب هى فرنسا ، وكثيرا ما اشتبك الألمان فى حروب باردة وساخنة مع كل من هاتين الدولتين القويتين .

وثانيهما : الخصائص الجغرافية للأرض الألمانية ، وهى افتقار ألمانيا الشديد إلى الموانئ المطلة على البحار وخصوصا عندما انتزعت منها معاهدة فرساى سنة ١٩١٩ ممر دانزج ، وهو الممر الذى حاول هتلر أن يفتحه أمام ألمانيا فى مستهل الحرب العالمية الثانية .

وحتى بداية الحرب العالمية الأولى لم تكن ألمانيا تحارب أكثر من دولة واحدة فى الغالب الأعم مثل فرنسا ، وكان الساسة الألمان يعمدون إلى الدخول فى تحالفات مع دول أخرى فى محاولات متتالية للحفاظ على توازن القوى فى إطار منافسة شرسة على مدار القرن التاسع عشر مع بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا والصرب وتركيا ، وكانت مجالات التحالف هى المجالات التى أبدى فيها السياسى الألمانى الشهير بسمارك الذى كان رئيسا لمؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ لمناقشة الصراع بين روسيا والنمسا وبريطانيا وتركيا لتسوية حرب القرم والمسألة الشرقية . وساعد بسمارك بريطانيا للوقوف فى وجه أطماع روسيا فى تركيا والبلقان وانتهج بسمارك سياسة عدم التورط فى حرب ساخنة ليتمكن من

بناء قوة ألمانيا وتوحيد أقاليمها مع التظاهر بعدم رغبة ألمانيا فى أن تضع يدها على أى مستعمرات أو أجزاء من الأقاليم الخاضعة لحكم تركيا مما جعل تركيا تخطب ود ألمانيا وتطلب مساعدتها فى تنظيم وتدريب الجيش التركى فأوفدت ألمانيا إلى تركيا بعثة من الضباط الألمان تحت قيادة الجنرال «ليمن فون ساندز Liman Von Sandes» وهو الشأن الذى أثار شكوك بريطانيا مما جعلها تتدخل لدى بلاط السلطان حتى يكتفى بتعيين الجنرال الألمانى ساندز مفتشا عاما للجيش التركى وليس قائدا عاما للجيش التركى كما حصل أمير بحر إنجليزى على قيادة الأسطول التركى فى الآستانة وذلك فى أعقاب قبول تركيا لمعاهدة بوخارست فى ١٠ أغسطس ١٩١٣ .

وعندما سأل القيصر الروسى الإسكندر الثانى «بسمارك» قائلا له : «هل تستطيع ألمانيا أن تحتفظ بحيادها إذا نشبت الحرب بين روسيا والنمسا ؟» ، وأجابه بسمارك إجابة دبلوماسية بارعة بقوله : «يهم ألمانيا ألا تفقد إحدى الدولتين استقلالها وألا تضيع هيبتها كدولة عظمى» وكان معنى ذلك هو أن ألمانيا لا تسمح لروسيا أن تهزم إمبراطورية النمسا والمجر .

ولقد كان بسمارك يخشى التقارب والتحالف بين روسيا وفرنسا للهجوم على ألمانيا من الشرق بالجيوش الروسية ومن الغرب بالجيوش الفرنسية ، ولذلك عمد بسمارك إلى التحالف مع إمبراطورية النمسا تحت قيادة وزير الخارجية النمساوى أندراسى وتم توقيع المعاهدة بين ألمانيا والنمسا فى ٧ أكتوبر سنة ١٨٧٩ م ونصت تلك المعاهدة على أن تساعد كل من النمسا وألمانيا ، كل منهما الأخرى ، لو اعتدت روسيا على أى منهما ، وأن تلزم النمسا الحياد لو اعتدت فرنسا على ألمانيا . وإن دلت هذه المعاهدة على شىء فهى تدل على مدى الخطر الكامن على الجانب الشرقى والجانب الغربى من الحدود الألمانية ، ولقد استمر بقاء هذه المعاهدة سارية المفعول تتجدد من تلقاء نفسها كل خمس سنوات حتى سنة ١٩١٤ عندما قامت الحرب العالمية الأولى .

ويزداد وضوح مخاوف ألمانيا من جارتها الشرقية روسيا وجارتها من الناحية الغربية فرنسا أيضًا فى تلك المعاهدة التى عقدها بسمارك أيضا مع إيطاليا فى

٣٠ مايو عام ١٨٨٢ م وهى المعاهدة التى نصت على أنه فى حالة مهاجمة فرنسا للأراضى الإيطالية تساعد كل من ألمانيا والنمسا الدولة الإيطالية ، وفى حالة اعتداء فرنسا على ألمانيا ، يساعد الإيطاليون ألمانيا . أما إذا اعتدت روسيا وفرنسا معا على أى دولة من دول هذه المعاهدة فإن الدول الثلاث ألمانيا ، والنمسا ، وإيطاليا تحارب جنبا إلى جنب ضد الدولتين المعتديتين روسيا وفرنسا . ولقد نجح بسمارك بمثل هذه المعاهدات ذات الصبغة التحالفية فى درء الأخطار العسكرية عن ألمانيا بدون الدخول فى حرب مع روسيا أو فرنسا إذ كانت نصوص هاتين المعاهدتين مع النمسا وإيطاليا ترهب روسيا وفرنسا عن ممارسة أى عدوان ضد أى طرف من أطراف هذه المعاهدات التى أصبحت نواة لما يعرف بتحالف دول «المحور» فى الحرب العالمية الأولى ثم فى الحرب العالمية الثانية.

وحيث إن إروين روميل قد شارك كضابط مشاه حديث التخرج فى الحرب العالمية الأولى فمن الضرورى أن نشير بإيجاز إلى الملامح الرئيسية للحرب العالمية الأولى وما تمخضت عنه هذه الحرب .

•• شرارة الحرب العالمية الأولى :

كان برميل البارود فى بلاد البلقان وخصوصا فى دولة الصرب ودولة النمسا والمجر وكرواتيا والجبل الأسود وألبانيا ويوغوسلافيا يوشك على الانفجار عندما أطلق إرهابى صربى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ النار فقتل الأرشيدوق «فرانز فرديناند» ولىّ عهد النمسا ، ويعتبر هذا اليوم هو يوم بدء الحرب العالمية الأولى فى نظر كل المؤرخين . إذ أعلنت النمسا الحرب وساندتها ألمانيا بموجب المعاهدة التى كان قد أبرمها بسمارك مع إمبراطور النمسا ، وأعلنت روسيا وبريطانيا وفرنسا الحرب على النمسا وألمانيا واتسع نطاق الحرب العالمية الأولى ليشمل دولا كثيرة أخرى بحيث كانت دول النمسا والمجر وألمانيا وتركيا وبلغاريا فى جانب أطلق عليه دول الوسط ، وكانت الصرب وروسيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا والجبل الأسود واليابان وإيطاليا وسان مارينو والبرتغال ورومانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكوبا وبنما واليونان وسيام وليبيريا والصين والبرازيل فى الجانب الآخر الذى أطلق عليه المؤرخون تسمية جانب الحلفاء ، ويلاحظ أن

نفوذ بريطانيا قد أدخل كثيرا من الدول فى الحرب العالمية الأولى إلى حد أن اشتراك بعض الدول فى هذه الحرب كان اكتفاء بإعلان الحرب على ألمانيا والنمسا وتركيا دون الاشتراك الفعلى فى الحرب اكتفاء بالتأييد السياسى وتقديم المساعدات الاقتصادية والتسهيلات العسكرية لدول الحلفاء.

واستمرت معارك الحرب العالمية الأولى من ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ إلى يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ بين دول الوسط وحلفاء بريطانيا وفرنسا . وكان عدد سكان دول الوسط آنذاك حوالى مائة وستة وخمسين مليونا وستمائة ألف نسمة وكان عدد الجنود حوالى عشرة ملايين وستمائة ألف جندى بينما كان عدد سكان دول الحلفاء يصل إلى مليار وأربعمائة ألف نسمة ، ويبلغ عدد جنود دول الحلفاء حوالى ثلاثين مليون جندى أى أن عدد جنود الحلفاء كان ثلاثة أمثال عدد جنود تحالف دول الوسط . وكان دخول الولايات المتحدة الأمريكية ميدان الحرب العالمية الأولى فى يوم ٦ إبريل سنة ١٩١٧ كفيلا بإنهاء الحرب العالمية الأولى لصالح الحلفاء يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ م .

أحرز الألمان انتصارات عسكرية كبيرة فى بداية الحرب العالمية الأولى ، إذ أوقعوا هزيمة ساحقة بالقوات الروسية فى موقعة تننبرج Tannenberg فى ٢٦ – ٢٩ أغسطس سنة ١٩١٤ وعلا نجم القائد الألمانى هندنبرج Hindenberg ومساعده لودندورف Ludendorf وفى الميدان الغربى من ألمانيا اجتاحت الجيوش الألمانية الأراضى البلجيكية ودخلوا العاصمة البلجيكية بروكسل فى يوم ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٤ وتقدموا نحو باريس فى ٢١ – ٢٩ أغسطس ١٩١٤ ، ولكن الفرنسيين نجحوا فى إجبار الألمان على الارتداد عن باريس إلى نهر «الإيسن The Aisne» اعتبارا من يوم ٩ سبتمبر ١٩١٤ ، وتحولت المعارك إلى ما يسمى بحرب الخنادق الثابتة على الجبهة الغربية لألمانيا منذ ذلك التاريخ.

وفى عام ١٩١٤ شهدت بحار أمريكا الجنوبية معركة بحرية حاسمة بين الأسطول الألمانى والأسطول البريطانى فى معركة فكلند Falkland البحرية انتهت بهزيمة الأسطول الألمانى وانتصار الأسطول البريطانى وتحولت ألمانيا إلى حرب الغواصات والطرادات البحرية الصغيرة فى محاولة يائسة لتحدى قوة بريطانيا البحرية .

واستمر النصر حليفا لجيوش ألمانيا وتمكنت من مساعدة حليفتها النمسا ضد هجوم الإيطاليين والرومانيين حتى عام ١٩١٦ ، ولكن انتصارات ألمانيا لم تكن دون ثمن ودون تضحيات كبيرة فى الجنود والعتاد والأموال بطبيعة الحال . وفرض الأسطول البريطانى حصارا بحريا محكما ضد ألمانيا بقيادة أمير البحر البريطانى جليكو Jellicoe مما جعل ألمانيا تتوسع فى اعتمادها على حرب الغواصات الألمانية مما أفضى إلى أن أغرقت إحدى الغواصات الألمانية سفينة تجارية أمريكية هى السفينة «لويزتانيا Luisitania» وغرق ركابها من المسافرين الأمريكيين مما أفضى فى النهاية إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ودول الوسط اعتباراً من اليوم السادس من شهر إبريل ١٩١٧ م .

وفى الميدان الغربى لألمانيا اعتزل المارشال نيڤل القيادة الفرنسية فى إبريل سنة ١٩١٧ وتسلم قيادة الجيوش الفرنسية المارشال «بيتان Pitain» كما أظهر القائد الإنجليزى المارشال هيج براعة عسكرية فائقة ، وهاجم اليونانيون البلغار والنمساويين بشدة . ونجح الإنجليز فى حربهم فى العراق بعد خسارتهم معركة كوت العمارة ودخل الإنجليز بغداد وأخضعوا العراق لسيطرتهم بعد أن طردوا القوات التركية والألمانية من العراق كله . كما تمكن الإنجليز من إخراج الأتراك من شبه الجزيرة العربية بالتحالف مع الشريف حسين وأولاده بواسطة لورانس ، وتمكن الچنرال اللنبى من هزيمة جيوش تركيا وألمانيا فى فلسطين ودخل الچنرال اللنبى القدس ودمشق عاصمة سوريا .

وفى عام ١٩١٧ قامت الثورة الشيوعية فى روسيا التى خرجت من الحرب ووقعت معاهدة مع ألمانيا فى ديسمبر سنة ١٩١٧ ، وخرجت معها من الحرب أيضا حليفتها رومانيا .

•• هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى وإعلان الهدنة :

بانسحاب روسيا ورومانيا من الحرب ضد ألمانيا أصبحت الجبهة الغربية لألمانيا هى أخطر جبهات الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٨ . ووجه القائد الألمانى لودندورف الجيوش الألمانية للهجوم على فرنسا إلا أن الفرنسيين تمكنوا بقيادة

الجنرال فوش والجنرال جورو والجنرال مانجان من دحر الهجوم الألمانى بمساعدة قوات أمريكية بقيادة الجنرال برشنج Pershing والجنرال كستتلو ، وكذلك ساعد البلچيكيون والبريطانيون فرنسا على الصمود فى وجه الهجوم الألمانى وتقهقر الألمان إلى نهر «الآردن Ardennes» ووصل عدد الأسرى الألمان نصف مليون أسير ، وطلب القائد الألمانى الجنرال لودندورف الصلح ووقف القتال فى آخر شهر سبتمبر ١٩١٨ وبالتالى طلبت كل من بلغاريا والنمسا والمجر الاستسلام للحلفاء ووقف القتال ، وشارفت الحرب العالمية الأولى نهايتها بإعلان هزيمة الألمان وحلفائهم وانتصار بريطانيا وفرنسا وحلفائهما . وطلب القائد الألمانى الجنرال لودندورف الهدنة ووقف كل أعمال القتال رسميا فى يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ على أساس الشروط التى أعلنها الرئيس الأمريكى ويلسون وهى :

(١) العدول عن المفاوضات السرية والمعاهدات السرية كتلك المعاهدات التى كان يبرمها بسمارك واتباع سياسة الجهر والعلن والصراحة فى المعاهدات الدولية.

(٢) الاعتراف بحرية الملاحة فى البحار فى زمن الحرب والسلم .

(٣) فتح باب حرية التجارة بين كل دول العالم على قدم المساواة .

(٤) تخفيض التسليح بحيث لا يبقى على أرض أى دولة من السلاح إلا السلاح الذى يلزم لحفظ الأمن الداخلى فى كل دولة من دول الوسط فى ألمانيا وحلفائها .

(٥) تسوية المشكلات الاستعمارية بطريقة عادلة مع مراعاة مصالح الدول الاستعمارية والشعوب الخاضعة للاستعمار .

(٦) مهما كان شكل ومذهب الحكومة الروسية فمن الضرورى دعوة روسيا إلى الدخول فى جامعة الدول الحرة .

(٧) جلاء ألمانيا من كل الأراضى البلچيكية .

(٨) الانسحاب التام من كل الأراضى الفرنسية وإعادة مقاطعتى الألزاس واللورين إليها مع تعويضها عن كل ما دمرته الحرب فى البلاد الفرنسية.

(٩) توسيع أملاك إيطاليا بما يحقق الأمانى القومية للدولة الإيطالية .

(١٠) للشعوب الخاضعة لدولة النمسا حق تقرير المصير .

(١١) انسحاب كل القوات الأجنبية من أراضى رومانيا والصرب والجبل الأسود وتحقيق الأمانى القومية لشعوب البلقان وفقًا لمبدأ حق الشعوب فى تقرير المصير .

(١٢) حق تقرير المصير لكل الدول والشعوب التى كانت خاضعة قبل الحرب للنفوذ التركى دون أن تكون من أراضى تركيا .

(١٣) استقلال بولندا ومنحها منفذا إلى البحار .

(١٤) إنشاء عصبة الأمم بهدف العمل على حفظ السلام الدولى فى العالم كله بحيث لا تعتدى دولة على أخرى دون عرض أسباب النزاع على عصبة الأمم مع الالتزام بقراراتها .

شروط أمريكية لإنهاء الحرب العالمية الأولى صاغها وأعلنها الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون ، وأعلن الجنرال الألمانى لودندورف استسلام ألمانيا وقبولها بوقف القتال على أساس هذه الشروط الأمريكية ، ومن هنا انتهت عزلة أمريكا وبدأت فى فرض كلمتها فى الشئون الدولية بدءًا من عام ١٩١٨ حتى اليوم .

وهكذا ، بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها انعقد مؤتمر للصلح بين الدول فى باريس فى يناير سنة ١٩١٩م حيث إن مبادئ الرئيس ويلسون كانت مبادئ عامة تحتاج إلى مباحثات تفصيلية بين الدول المنتصرة والدول المهزومة . وانعقد مؤتمر باريس برئاسة الرئيس الفرنسى كليمنصو وحضره ممثلون للدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى ، وسمح المؤتمر بالحضور أيضا لممثلين عن الشعوب التى وعدها الحلفاء بالحرية والاستقلال مثل البولنديين والعرب واليهود أيضا إذ كان للعرب دور ملحوظ فى مساعدة دول الحلفاء خصوصا فى الحرب ضد تركيا ، كما أن اليهود عملوا الكثير لهزيمة ألمانيا وساعدوا على

إدخال أمريكا الحرب لصالح الحلفاء ، وهو مالم يغفره هتلر والشعب الألمانى لليهود قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية . كما أن الدول المهزومة فى الحرب العالمية الأولى وعلى رأسها ألمانيا ، لم يسمح لها بحضور جلسات المؤتمر ومناقشاتها إذ تعين عليها أن توقع على شروط الصلح فقط .

•• معاهدة فرساى :

وتمخض مؤتمر الصلح فى باريس عن صياغة شروط معاهدة مهمة هى معاهدة فرساى ودعيت ألمانيا لمجرد التوقيع على شروط هذه المعاهدة فى ٢٨ يونيو عام ١٩١٩ وأهمها هو ما يلى :

(١) – اقتطاع أراض من ألمانيا دون إجراء استفتاء وهى أراضى الألزاس واللورين وإعادتها إلى فرنسا مرة أخرى كما كان شأنها قبل الحرب العالمية الأولى .

(٢) – ضم مقاطعات من غرب ألمانيا إلى جمهورية بولندا وقيام دولة تشيكوسلوفاكيا فى أراضى أقاليم ليتوانيا وهوبشتاين وكانت فى الأصل أراضى ألمانية.

(٣) – إجراء استفتاء فى مناطق ألمانية ليختار سكانها الدولة التى يرغبون فى الانضمام إليها وهى مناطق شلزويج ، أليشتاين ، مارين ، فردر ، أوين ، مالمندى، سيلزيا . وأظهر الاستفتاء انضمام هذه الأقاليم إلى كل من الدنمارك وبولندا لتحول دون انطلاق ألمانيا شمالا نحو بحر الشمال كما كانت تشيكوسلوفاكيا تحول دون توسع ألمانيا فى اتجاه الجنوب .

(٤) – تعترف ألمانيا باستقلال النمسا وتكف ألمانيا عن المطالبة بتنفيذ أى شكل من أشكال التحالف أو الاتحاد بين ألمانيا والنمسا فى إطار الرايخ الألمانى أو أى إطار آخر .

(٥) – لايزيد الجيش الألمانى على مائة ألف رجل ولايزيد عدد الضباط فيه على أربعة آلاف ضابط ، وأصبح الجيش الألمانى بعد معاهدة فرساى يعرف بأنه جيش «المائة ألف» . وحظرت المعاهدة على ألمانيا إنتاج أى طائرات حربية مقاتلة اعتراضية أو قاذفة أو من أى نوع حربى .

(٦) – يحرم على ألمانيا إصدار أى تشريع يفرض التجنيد الإجبارى على المواطنين الألمان ، ولايجوز لألمانيا إقامة أى تحصينات عسكرية شرقى نهر الراين فى عمق يصل خمسين كيلو متراً لتأمين حدود فرنسا مع ألمانيا من أى خطر ألمانى فى المستقبل على أن يكون لفرنسا الحق فى الاحتفاظ بقواتها العسكرية على حدودها مع ألمانيا غربى نهر الراين .

(٧) – يحاكم القيصر الألمانى غليوم محاكمة علنية يقرر القضاة من دول الحلفاء مصيره وتلتزم الحكومة الألمانية الجديدة بتسليم مجرمى الحرب الألمان المطلوبين للمحاكمة لتقرير العقوبات المناسبة لكل منهم .

(٨) – تعترف ألمانيا بمسئوليتها الكاملة عن بدء الحرب العالمية الأولى وتعترف بحقوق دول الحلفاء فى الحصول على تعويضات مناسبة لحجم الدمار الذى تحملته كل دولة من جراء هذه الحرب . ونصت معاهدة فرساى على تشكيل لجنة تشرف على تقدير قيمة هذه التعويضات وعلى كيفية وفاء ألمانيا بدفعها لمستحقيها ، وخولت المعاهدة للجنة حق الاطلاع على كل ما يلزم لتقدير قوة ألمانيا المالية على دفع هذه التعويضات بما فى ذلك الإشراف الكامل على الخزانة الألمانية وتقرير أسس النظام الضريبى فى ألمانيا مع عدم السماح للحكومة الألمانية بتخفيض الضرائب دون موافقة اللجنة .

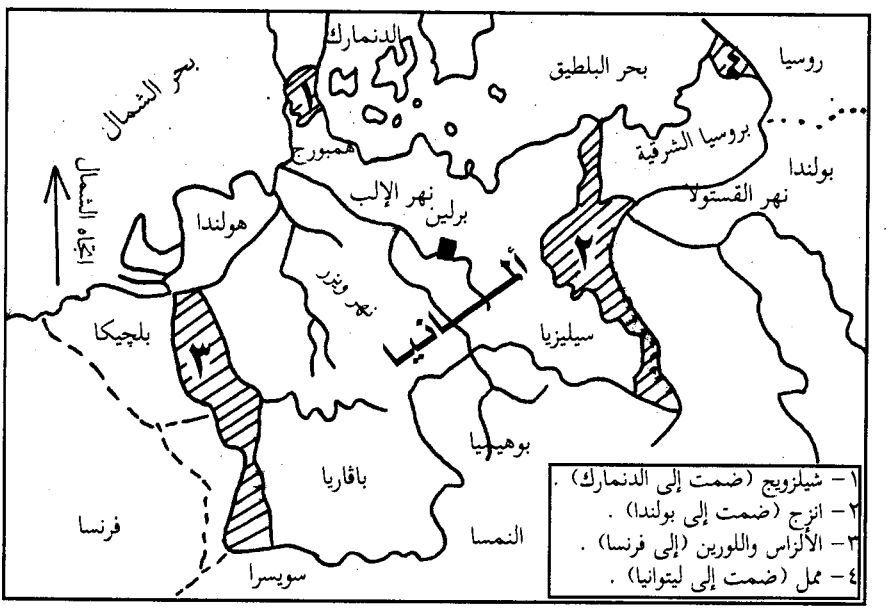

ألمانيا والأجزاء التى انتزعت منها بعد معاهدة فرساى ١٩١٩

ومارست لجنة التعويضات عملها فى العاصمة البريطانية لندن فى ٥مايو سنة ١٩٢١ ، وأوصت بتقدير مبدئى للتعويضات التى يلزم أن تدفعها ألمانيا للحلفاء بحيث تصل هذه التعويضات إلى مائة واثنين وثلاثين مليارا من الماركات الذهبية، ودفعت ألمانيا القسط الأول من هذه التعويضات وكان قدره مليارا كاملا من الماركات الذهبية إلى مستحقيه من الدول طبقا لتوصيات اللجنة .

كانت شروط معاهدة فرساى شروطا بالغة القسوة ، وكان كليمنصو يطالب بتطبيق أقسى الشروط على ألمانيا ، بينما كان الرئيس الأمريكى ويلسون يطالب ألا تكون شروط الحلفاء بالغة القسوة على ألمانيا وتنازل الرئيس الأمريكى ويلسون عن أى تعويضات مستحقة لأمريكا بالفعل ، وكان رئيس الوزراء البريطانى لويد جورج يحاول التوفيق بين مغالاة الفرنسيين فى القسوة ورغبة الأمريكيين فى التسامح وتخفيف الشروط المجحفة بالألمان .

وساءت أحوال ألمانيا المالية بسبب التعويضات وزيادة الضرائب كما ساءت أحوالها الاجتماعية والسياسية لشدة سخط الشعب على الحكومة الألمانية فى أعقاب خسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى .

وكان المواطن الألمانى يسأل : هل هذا هو ما ينبغى أن يكون ؟ وكانت الإجابة هى : لا . وكان المواطن الألمانى يسأل : كيف السبيل للخلاص مما هو كائن ولتحقيق ما ينبغى أن يكون ؟ وكانت الإجابة هى أن ألمانيا بحاجة إلى زعيم بطل خارق للعادة . وكان الشعب الألمانى يسأل باستمرار : أين البطل؟ من البطل ؟ متى سيظهر البطل ؟ كيف سيظهر البطل ؟ وظهر البطل ، وكان أدولف هتلر هو البطل الذى توهم الشعب الألمانى أنه سينقذه مما حاق به من آثار هزائم الحرب العالمية الأولى مما أفضى إلى هزائم ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، وشاءت الأقدار أن تكون أوامر أدولف هتلر هى التى حددت النهاية المأساوية لبطل وقائد الفيلق الألمانى فى شمال إفريقيا الفيلد مارشال إروين روميل فى المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية .